



القراءة الفكرية

د. طارق بن طلال عنقاوي

تساؤلات اللقاء

ما الفكر ؟ ما القراءة الفكرية؟ وما مجالاتها ؟

هل القراءة الشرعية فكرية؟ أو هل القراءة الفكرية شرعية؟

ما علاقة القراءة الفكرية بمختلف التخصصات؟

لماذا القراءة الفكرية؟

متى القراءة الفكرية؟

ما المؤهلات لخوضها؟ وما متطلباتها؟

ماذا أقرأ؟

ما الفكر؟ (1) في اللغة وكتب الاصطلاح القديمة

- في اللغة «تردد القلب في الشيء». يقال تفكر إذا ردد قلبه معتبراً». [مقاييس اللغة 4 / 446], لكن لا يمكن أن يكون هذا المعنى العام المقصود في مصطلح القراءة الفكرية, فكل قراءة ستكون فكرية
- في كتب الاصطلاح القديمة يدور معناه حول المعنى اللغوي مع إضافة التوصل إلى نتائج علمية غرضاً له.

ما الفكر؟ (2) في الاستعمالات المعاصرة

تنوعت إطلاقات الفكر في الاستعمالات المعاصرة وتعددت تعريفاته بطريقة مشكّلة, ويلاحظ في كثير من الاستعمالات ما يلي:

- أنّه لا يراد به لا مجرد المعنى اللغوي ولا حتّى الاصطلاحي بالمعنى السابق.
- أنّه ينصرف إلى شيء من تعدد المجالات في تناوله, مع الاهتمام بمجالات لها تعلّق بواقع الحياة خاصة من ناحية علاقة الإنسان ومجتمعاته بهذا الواقع, فيعالج المفكر تشكيل تفكير الإنسان ومجتمعاته لصناعة الحياة المناسبة بناء على منطلقات ذلك المفكر.
- أنّ له أنماط خاصّة في النظر والتحليل للأفكار, مع اختلاف المنطلقات بحسب نوع الفكر.

ما القراءة الفكرية؟ ما مجالاتها؟

• يمكننا أن نحدّد ملامح القراءة الفكرية بناء على تصوّرنا للفكر، فنذكر الملامح التالية:

1. هي قراءة متنوعة المجالات لاتساع غرض الفكر (فهم واقع الحياة بمعناه الواسع بدءً بالذات والوجود ومروراً بالمجتمعات وما يسيّرّها من نظم ويحكم علاقاتها من رؤى ومعايير)
2. هي قراءة متعلّقة بالعلوم الشرعية إذا فهمنا حقيقة الدين ودوره بشكل صحيح
3. هي قراءة تتطلّب مستوى عال من الاستقراء والفهم والنقد لأنّ المجالات المذكورة والنتاج الذي قدّم فيها له منطلقات ومرجعيات ومنهجيات متنوعة مختلفة، كما أنّها تتطلب تأصيلاً شرعياً قوياً ومطوّراً

هل القراءة الشرعية فكرية؟ أو هل القراءة الفكرية شرعية؟

- القراءة في العلوم الشرعية تؤصّل للفكر السليم من ناحية المرجعية والاستدلال والمعايير وكثير من المضامين
- عندما نقول من ناحية المضامين فهذا يعني أنّ علوم الشرع تتضمّن مضامين فكرية فوظيفتها ليست مجرد ضبط المرجعية والاستدلال
- يبقى أنّ القراءة الفكرية لارتباطها بفهم واقع الحياة تتضمّن مضامين مصدرها الحسّ والتجريب وإعمال العقل, وهنا يغلب على علوم الشرع أن تشكّل المنطلقات والمعايير العامة من مرجعية ومبادئ عامة وأحكام وأخلاق ومقاصد, وأيضاً تملك مرجعية النقد لا البناء فقط, لأنّ القراءة الفكرية هنا قد تمرّ بأطروحات خاطئة في النتائج أو حتى في المقدمات في حال القراءة للمخالفين
- ومن هنا ندرك أنّ القراءة الشرعية فكرية والقراءة الفكرية يمكن أن تكون شرعية لكن وفق شروط في التأصيل والتأهيل مع مراعاة الأولويات

مفاهيم شائعة للفكر والقراءة الفكرية فيها اختزال

الارتباط بأسماء فكرية معينة قدمت إسهامات شهيرة

الارتباط بمجال رد شبهات الفكر العلماني والحداثي

الارتباط بمجال نقد الفكر الغربي أو فكر وكتابات المخالفين
والانحرافات

الارتباط بما يسمّى بالعلوم الإنسانية

الارتباط بمنهجيات التوصيف أو التحليل التاريخي

الارتباط بتعزيز اليقين أو رد الشبهات

التمييز عن المجالات الشرعية

علاقة الفكر بمختلف التخصصات

- يمكن الكشف عن طبيعة هذه العلاقة من خلال الكشف عن طبيعة الفكر نفسه
- تلك الطبيعة في نظري التي تجعل الفكر اصطلاحاً خاصاً معبراً عن ممارسة علمية مستقلة عن مجرد التخصصات المعروفة, هي ما تطرّقنا له سابقاً بوصفنا الفكر بأنّه :

"يتعلّق بواقع الحياة خاصة من ناحية علاقة الإنسان ومجتمعاته بهذا الواقع, فيعالج المفكر تشكيل تفكير الإنسان ومجتمعاته لصناعة الحياة المناسبة بناء على منطلقات ذلك المفكر".

إذاً ما علاقة الفكر بالتخصصات الشرعية والطبيعية والإنسانية؟

علاقة الفكر بالتخصصات الشرعية

- نجد أنّ القرآن الكريم يزوّد الإنسان بالإجابات الشافية لأسئلة الوجود، ويكشف له طبيعة الحياة وسننها، ويرتّب له أولويات النظر والعمل، ومعايير الأخلاق والمعاملة والعلاقات في كافة مستوياتها، مع الله تعالى ومع النفس والأسرة والمجتمع والمجتمعات الأخرى، بل ومع الحيوانات والموارد الاقتصادية، كما يرسّي القرآن منطلقات النظر الصحيح ومناهجه، ويؤكد على شمولية مصادر المعرفة والرجوع لها دون تنافر.. فالحقّ أنّ أصول الفكر السليم نبعها وضمانه صحّتها هو القرآن، وفي السنة بيان ومزيد تفصيل
- في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية تشكّلت ملامح مناهج الاستدلال عند المسلمين، ووجدت علوم منهجية معيارية كأصول الفقه وأصول التفسير وعلوم القرآن وعلوم الحديث واللغة، وكل ذلك يثري الفكر من جهة المنطلقات والمعايير، كما وجد في تراث المسلمين العلمي اجتهادات فكرية كثيرة تتعلق بمجالات الحياة المختلفة، بل وضعت أصول كثير من النهضات الفكرية والحضارية البشرية، وإن كانت تلك النهضات صاحبها نكسات وأوجه أخرى من الانحطاط بسبب عدم الأخذ بالإسلام منهجا شاملا
- نخلص مما سبق إلى شدّة تعلّق الفكر بالتخصصات الشرعية وأهمية التأصيل الشرعي للمفكر والقارئ في الفكر، لكن يجب أن نلاحظ أن الفكر له متعلّقات حياتية تتطلّب أن نستعمل النظر وفق المناهج الشرعية (التي فصلّتها أو أقرّتها الشريعة)، فدائرة الفكر من هذه الناحية قد تتسع لتخصصات أخرى يغلب عليها التجريب مثلاً، وتوظّف قدرات العقل الرياضية والاستنباطية مثلاً، فتصل إلى رؤى حيائيّة تركز على مقرّرات الشريعة، لكنّها منطلقة في تحليلها واقتراحها للرؤى والحلول الحياتية، وانطلاقها ارتكاز على الشريعة لا طلاق فيه منها.

علاقة الفكر بالتخصصات الطبيعية

• قد يبدو أول النظر أنّ التخصصات الطبيعية لا تتعلق بالفكر, إلاّ أنّ هذا لا يصح, فالفكر يتعلّق بالعلم الطبيعي من جهات:

1- مساحة المنطلقات للتفكير العلمي والمنهجية العلمية والممارسة العلمية هي مساحة فكرية من ناحية أن رسم المناهج والمعايير وتحديد الغايات مجال لعمل العقل, وبهذا الاعتبار يدخل في حقيقة الفكر

2- طبيعة النظر للموجودات في ضوء تصوّر الغيب والسنن الكونية وعلاقات التسخير

3- الأخبار الشرعية التي تتداخل في التخصصات العلمية وهي مصدر معرفي علمي

4- الأمر والنهي الشرعي والمقاصد والمبادئ والأخلاق تتعلّق أيضاً بالناحية العملية لهذه العلوم في الممارسة والتطبيقات

5- هذه العلوم في النهاية هي جزء من متطلبات الحياة ووسائلها لذا فالفكر هو الذي يحدد وظيفتها ودورها

6- واقعياً اتخذت هذه التخصصات منطلقات فكرية ومعرفية ارتكزت عليها, وهذه من ضمن المجال الفكري وهي مجال أيضاً للانحراف بالاختزال وغيره من أوجه الخلل

علاقة الفكر بالتخصصات الإنسانية

- تقوم العلوم الإنسانية في كثير من مناهجها وطرق النظر فيها والممارسة على فلسفات وتصورات فكرية, مثلا الفلسفة الدراوينية في علم النفس والاجتماع والفكر الاشتراكي او الرأسمالي في الاقتصاد
- تعتمد بعض مضامين هذه التخصصات على النظر التأملي, ولا تخضع بسبب طبيعتها للمنهجية التجريبية بحيث يتم تنقيح نتائجها, ولذلك يعتبر المنتج العلمي فيها متداخلا بامتياز مع الممارسة الفكرية
- يتم توظيف هذه التخصصات لكونها تعتمد على النظم الفكرية المختلفة في تفسيراتها للدعاية لتصورات ورؤى تحتاج للنقد والتمحيص من خلال الفكر المقابل, وفي هذا الصراع يبرز دور الإسلام بنظامه المرجعي الشمولي ليواجه الانحرافات والتوظيفات الفاسدة
- تغيب هذه التخصصات التصورات الصحيحة للوجود والغيب وسنن الحياة الشرعية, ولا تكثر بالضرورة بمقررات الشريعة في الأخبار والأوامر والمقاصد والمبادئ

لماذا القراءة الفكرية؟

- في نظري أنّ الحاجة التي تدعو للقراءة الفكرية توجد في الحالات التالية:
- من يتخصص في مجالات لها خلفيات فكرية ولا بد, فهذا لا بد من قدر من القراءة الفكرية التأصيلية للوقاية, وإذا كان الشخص لديه مشاركة في ذلك التخصص فقد يحتاج للتوسع في التأصيل والنقد والمقارنة لكي يتحول لمرحلة الإنتاج الفكري في تخصصه لسد حاجة الأمة في ذلك
- من تعرّض لإشكالات تتعلق ببعض الطرح الفكري الموجود, فيحتاج لعلاجها من خلال الكتابات النقدية للانحرافات الفكرية
- من كون خلفية شرعية جيدة ويريد أن يرتقي إلى مجال المعالجة الفكرية للواقع, أو حتى يتحول تدريجياً إلى مفكر, وهذه حاجة نخبوية في الأصل
- تكوين الثقافة الفكرية العامة أو المدخل العام للفكر السليم, من خلال الاطلاع على بعض الكتب التأصيلية والنقدية المكتوبة بطريقة تصلح لغير المتخصصين أو غير المؤصلين بصورة كافية (هذا يحتاج لإرشاد وتدرّج وشيء من الحذر)

متى القراءة الفكرية؟

- في رأيي أن قدراً كبيراً من القراءة الفكرية يحصل بالقراءة الشرعية خاصة إذا كانت بوعي لمسارات الفكر العامة من الكاتب أو من القارئ على الأقل, وبهذا النوع من القراءة يمكن القول أنّها تبدأ مع القراءة الشرعية وضمنها
- هناك قدر من القراءة الفكرية يفترض أن يتأخر حتى يصل القارئ لمستوى جيّد من التأصيل الشرعي ويتجاوز القراءة الشرعية بالمعنى السابق
- هناك استثناءات لمن يتفاعل مرغماً مع واقع فكري فيه انحرافات, فقد يضطر هنا لخوض بعض القراءات البنائية والنقدية التي تنطلق من التأصيل الشرعي الجيد

مؤهلات ومتطلبات القراءة الفكرية؟

• يتأهل للقراءة الفكرية في مستواها الذي تتضمنه القراءة الشرعية عموم الناس

• يتأهل للقراءة الفكرية التي تقدّم الرؤى الفكرية البنائية المنطلقة من مرجعية الإسلام أو التي تقدّم الرؤى النقدية من هذا المنطلق للأفكار المخالفة, أولئك الذين:

- قطعوا شوطاً جيداً في القراءة الشرعية وتأصلّوا في العلوم الشرعية خاصة في جانب فهم أصولها ومناهجها وخصائصها وأدلتها العقلية
- مع الاستعداد النفسي لاستيعاب النمط المقارن والتحليلي والجدلي الذي قد يتعرّض له في تلك القراءة

ماذا أقرأ؟

- قل لي من أنت أقل لك ماذا تقرأ؟
- أول ما تقرأ هو الوحي وعلومه لتشكيل المنطلقات الفكرية الصحيحة وامتلاك المعطيات والأدوات للتحليل والنقد والابتكار (القراءة الشرعية إن صح التعبير)
- شيء من الاحتكاك بكتابات المفكرين ممن تبني المنهج الشرعي الصحيح يثمر في نفس القراءة الشرعية لتوليد نوع من القراءة الواعية بالمسارات الفكرية
- القراءة في الكتابات الفكرية الناقدة للانحرافات على مراحل تفيد في التهيئة لمستوى أكثر توسعاً من القراءة
- قراءة تاريخ الفكر المنحرف من مصادر صحيحة المنطلقات مدخل جيد أيضاً لتوسيع القراءة الفكرية أكثر
- بعض المقترحات للبداية في الشريحة التالية

بعض المقترحات للبداية (1)

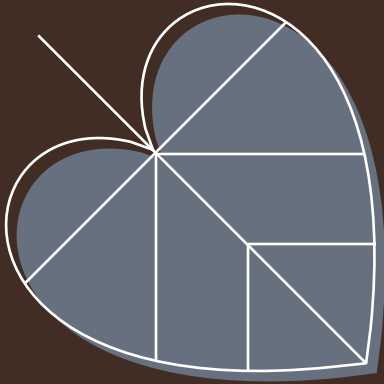
- في العلوم الشرعية هناك مواد متخصصة في التعريف بالعلوم الشرعية ومداخلها وبعض أهم ما يقرأ فيها, وهي بعمومها مهمة في القراءة الفكرية, لكن يمكن أن نبرز ما يلي:
- الإجابات عن الأسئلة الوجودية في القرآن, وهو مشروع تدبر يمكن أن يقوم به كل شخص وينطلق منه, وتوجد كتابات عن ذلك طبعاً في الكتب العقدية خاصة التي تتناول موضوع تعزيز اليقين وردّ أصول الشبهات الفكرية, ومن الكتب التي تناولت ذلك وإن كان باختصار كتاب كامل الصورة للشيخ أحمد السيد, وهو كذلك مقترح لغير هذا الغرض مثل الغرض التالي
- تحصيل وتحسين التصورات العقدية المهمة, ومثلاً يقرأ إضافة للكتاب السابق كتاب (ميثاق, مدخل إلى فقه أركان الإيمان لعبد الله لركف), وهو أيضاً يعرج على أصول عرفية مهمة في بداية الكتاب مع لمحة تأصيلية عن مصادر الاستدلال.
- علم أصول الفقه لتصور مناهج الاستدلال أكثر, مثلاً معالم أصول الفقه عند أهل السنة للجزاوي, مع قراءة بعض ما كتب لصيانة المرجعية الشرعية مثل (التسليم للنص الشرعي - د فهد العجلان)
- علم القواعد الفقهية فيه إبراز لكليات ومنهجيات مهمة ليست خاصة بالفقه فقط وإن ظننا البعض كذلك, ويمكن مثلاً قراءة كتاب الممتع في القواعد الفقهية لمسلم الدوسري الطبعة الثانية أو ما بعدها من طبعات
- أصول التفسير, ويمكن أن يقرأ فيه كتاب فصول في أصول التفسير للطيار
- مصطلح الحديث, وهناك كتب كثيرة لمعاصرين تتميز بالتبسيط, من أشهرها تيسير مصطلح الحديث للطحان
- قراءات تثقيفية في العلوم الشرعية بحيث يدرك القارئ خارطة هذه العلوم ومهمات مسائلها, وتفصيل هذا في مواضعه

بعض المقترحات للبداية (2) – كتب في المجال الفكري بذائية ونقدية

- كتب الشيخ أحمد السيد تعتبر جيدة في البداية مثل كتاب كامل الصورة وفيه جوانب بنائية ممتازة وكتاب سابغات وفيه يبرز الجانب النقدي, وكذلك كتاب إلى الجيل الصاعد خاصة لفئة الشباب فيه قضايا مهمة
- كتاب زخرف القول للعجلان والعجيري فيه تنوع في نقد كثير من التصورات الفكرية المنحرفة بمعالجات تأصيلية جيدة
- كتاب ينبوع الغاية الفكرية, وقد يكون صعباً في البداية وخاصة أنه يتضمن التأصيل البنائي والنقد المفصل للانحرافات الكبرى في التسليم لمرجعية الشرع, لكن يمكن أن يقوم القارئ باللجوء للمدارسة أو مراجعة مختص أو البحث في مراجع متخصصة, ليحصل بعض ما يكون مهما لفهم بعض تفاصيل الكتاب وتنمية ملكة التحليل والنقد أيضاً أثناء مواجهة بعض الصعوبات
- كتاب النظريات العلمية الحديثة للأسمري فيه عرض تحليلي تاريخي فكري جيد للفكر الغربي وأيضاً يعرض لعلاقة الفكر بالعلوم الطبيعية بطريقة جيدة
- كتاب الإنسانية المستحيلة للرماح يعرض لفكرة مركزية في الفكر الغربي تقف خلف كثير من الانحرافات الفكرية التي تسربت للمسلمين
- كتاب العالمية طاعون العصر د سامي عامري فيه أيضاً عرض تحليلي نقدي جيد
- كتاب إضاءات منهجية-ترتيب التفكير بحثاً عن اليقين, للعبد الفقير, يعتني بجانب تصحيح المعايير وكشف جذور الانحرافات والمساعدة على تصحيحها, وأظنه يعتبر مدخلاً جيداً لتنمية ملكة النقد للقارئ في المجال الفكري
- كتاب الحقيقة الإلهية لحمزة تزورتزس يعرض لقضية الإيمان بالله عرضاً يناقش فيه مجموعة من أصول الانحراف الفكري الغربي بشكل جيد

ملاحظات

- الكتب كثيرة وأنا لا أصنف نفسي في هذا المجال قارئاً متوسطاً حتّى, فربّما يعدّ ما قدّمته بداية فقط ومحاولة يشوبها الكثير من القصور
- ليس في القائمة السابقة مقترحات واسعة التعلق بمجالات الفكر المتصل بالعلوم الإنسانية, وهو يحتاج لاستقراء أو رجوع لمتخصصين, ولا شك هناك الكثير مما كتب في الفكر الاقتصادي والاجتماعي والنفسي والتربوي وغير ذلك, انطلاقاً من منطلقات إسلامية ونقداً للفكر المخالف, ولعله يبرر لي أيضاً عدم الاقتراح هنا أنّه مرحلة أكثر تقدماً قي القراء الفكرية



والحمد لله أولاً وآخراً
وصلّى الله على نبيّنا محمد

